الإنصاف

فيما بين العلماء من الاختلاف

للأمام شيخ الاسلام حافظ المغرب

﴿ أبى عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر بن عاصم ﴾

النمرى القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

عنيت بنشره وتصحيحه سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي

بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١

حق الطبع محفوظ لها

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيـــــقي الا بالله

اخبرنا الشيخ الفقيه الامام العالم العامل الصدر الكبير شيخ المسلمين قاضي القضاة شرف الدين ابو حفص عمر بن عبد الله بن صالح الحسني اطال الله بقاه قراءة عليه ونحن نسمع بايوان تدريسه بالصالحية اخبرنا الشيخ الامام العالم العامل الحافظ فخر الحفاظ مفتي الأمة قدوة الأئمة شرف الدين ابو الحسن على بن ابي المكارم المفضل بن على المقدسي قراءة عليه ونحن نسمع أنبأني الشيخ ابو الطيب عبد المنعم بن يحيى بن خلف الحميرى بقراءتي عليه بحق اجازته عن ابى الحسن على بن عبد الله بن موهب الجذامى عن مصنفه الحافظ ابى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى

قال الحافظ ابو الحسن المقدسى وأنبأ به اجازة ابو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري وآخرون عن ابى محمد عبد الرحمن بن محمد ابن عتاب الجذامي وغيره اجازة عن مصنفه الحافظ ابى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى المذكور رضى الله عنه * قال الحمد لله رب العالمين الذى جعل العلم نوراً للمهتدين وشفاء لصدور المؤمنين وحجة على الجاهلين والمبطلين وصلي الله على محمد وعلى آله أجمعين

أما بعد فان بعض اخواننا المعتنين بالعلم المقيدين له والحاملين لآثاره المتفقهين فيه رغب أن اجمع له مايقف به على ماكان عليه علماء السلف من الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب في الصلاة وهل كانوا يعدونها آية منها فيجهرون بها اذا قرؤا فاتحة الكتاب او يخفونها عند قرائتهم لها او يسقطونها فلا يرونها آية منها ولا من أوائل سائر سور القرآن سواها وهل اختلفوا في ذلك او كانوا على وجه منه متفقين وما الذى اختاره أئمة الفقهاء الذين تدور على مذاهبهم الفتيا في امصار المسلمين من ذلك وما الآثار التي كانت سبب اختلافهم فيما اختلفوا فيه من اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم وفي اثباتها وفي الجهر بها واخفائها وما نزعت به كل فرقة لمذهبها من جهة الأثر واحتجت به من ذلك لاختيارها بما روته عن سلفها فاجبته بعون الله تعالى وفضله فيما رغب وسارعت الى ماطلب ابتغاء ثواب الله تعالى في نشر ماعلمنى الله وخوف الوعيد الوارد في كتمان ما انزل الله في كتابه أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم. والى الله عز وجل اضرع مبتهلا في ان يهب لنا وللناظرين فيه علما نافعا وعملا يقرب منه متقبلا وهو حسبي عليه توكلت فيما له قصدت وما توفيقي الا بالله فأول ماابدأ به الاخبار عن جملة اقوال العلماء في ذلك

باب

ذكر اختلافهم في قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة في اول فاتحة الكتاب وهل هي آية منها

اختلف علماء السلف والخلف في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب وهل هي آية منها فذهب مالك واصحابه الى انها لاتقرأ في اول فاتحة الكتاب في شيء من الصلوات المكتوبات سرا ولا جهرا وليست عندهم آية من أم القرآن ولا من غيرها من سور القرآن إلا في سورة النمل في قوله عز وجل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وان الله لم ينزلها في كتابه في غير هذا الموضع من سورة النمل : وروى مثل قول مالك في ذلك كله عن الاوزاعي وبذلك قال ابو جعفر محمد جرير بن يزيد الطبري : واجاز مالك واصحابه قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة النافلة في أول فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن للمتهجدين ولمن يعرض القرآن عرضا على المقرئين : وأم القرآن عندهم سبع أيات يعدون (انعمت عليهم) آية وهو عد أهل المدينة من القراء وأهل الشام وأهل البصرة:

وقال اهل العراق والمشرق وسفيان الثوري وابن ابي ليلى والحسن ابن حي وابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو عبيد القاسم بن سلام يقرأ الامام في اول فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ويخفيها ممن خلفه وروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم

١ - النمل ٣٠

على اختلاف فى ذلك عن عمر وعلى ولم يختلف عن ابن مسعود في انه كان يخفيها وهو قول ابراهيم النخعى والحكم بن عتيبة وحماد بن ابي سليمان وغيرهم : وهي آية من أول فاتحة الكتاب عند جماعة قراء الكوفيين وجمهور فقهائهم الا ان السنة عندهم فيها اخفاؤها فى صلاة الجهر تسليما واتباعا للآثار المرفوعة فى ذلك: وقال الكرخي وغيره من أصحاب أبى حنيفة انه لايحفظ عنه هل هى آية من فاتحة الكتاب أو لا قالوا ومذهبه يقتضى انها ليست آية من فاتحة الكتاب لانه يسر بها في صلاة الجهر قال داود بن على هي آية من القرآن منفردة في كل موضع كتبت فيه في المصحف في أول فاتحة الكتاب وفي أول كل سورة من القرآن وليست من شيء من السور الا في سورة النمل وانما هي آية مفردة غير لاحقة بالسورة وزعم الرازي ان مذهب أبى حنيفة يقتضى عنده ماقال داود

وذهب الشافعى وأصحابه الى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب جهراً في صلاة الجهر وسراً في صلاة السر وقال هي آية من فاتحة الكتاب اول آياتها ولاتتم سبع آيات الا بها ولاتجزيء صلاة لمن لم يقرأها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعنى « لاصلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحه الكتاب » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل صلاة لايقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج » ومن لم يقرأها كلها فلم يقرأها : وقول أبي ثور في ذلك كله كقول الشافعي : وروى الجهر بها عن عمر وعلى رضي الله عنهما على اختلاف عنهما وروى ذلك عن عمار وابى هريرة وابن عباس وابن الزبير فلم يختلف في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم عن

ابن عمر وهو الصحيح عن ابن عباس أيضاً وعليه جماعة اصحابه سعيد ابن جبير وعطاء ومجاهد وطاوس وهو مذهب ابن شهاب الزهرى وعمرو بن دينار وابن جريج ومسلم بن خالد وسائر أهل مكة

واختلف قول الشافعي وكذلك اختلف أصحابه في بسم الله الرحمن الرحيم في غير فاتحة الكتاب هل هي من أوائل السور آية مضافة الى كل سورة أم لا : ومحصل مذهبه انها آية من أول كل سورة على قول ابن عباس « ما كنا نعلم انقضاء السورة الا بنزول بسم الله الرحمن الرحيم فى أول غيرها » وهو قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء وطلوس ومكحول : واليه ذهب ابن المبارك وطائفة ووافق الشافعي على انها آية من فاتحة الكتاب احمد واسحق وابو عبيد وجماعة أهل الكوفة وأهل مكة واكثر أهل العراق إلا أن احمد واسحق وأباعبيد يخفونها في صلاة الجهر فذهب سفيان وابن ابي ليلى والحسن بن حى وابن شبرمة وجماعة أهل الكوفة على ماذكرنا عنهم والحمد لله :

قال ابو عمر لكل فرقة من فرق الفقهاء المذكورين آثار رووها وصاروا اليها فيما ذهبوا اليه من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه والتابعين نذكر منها ماحضرنا ذكره على حذف التكرار والايثار بما عليه المدار بعون الله وفضله ان شاء الله : —

ذكر الآثار

(التي احتج بها من أسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب في الصلاة وكره قراءتها فيها ولم يعدها آية منها)

فمن ذلك حديث عبدالله بن مغفل المزنى وهو حديث يدور على ابى مسعود سعيد بن اياس الجريرى عن ابى نعامة قيس بن عباية الحنفي عن ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه وقد زعم قوم ان الجريري انفرد به وليس هو عندى كذلك لانه قد رواه غيره عن قيس بن عباية وهو ثقة عند جميعهم وكذلك الجريري محدث أهل البصرة ثقة روى عنه الجلة من أئمة أهل الحديث منهم شعبة وسفيان وابن علية والحمادان الا انه اختلط في آخر عمره : وأما ابن عبدالله بن مغفل فلم يرو عنه أحد إلا ابو نعامة قيس بن عباية فيما علمت ولم يرو عنه إلا رجل واحد فهو مجهول عندهم والمجهول لاتقوم به حجة :

فمن طرق حديث عبدالله بن مغفل ماحدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابوبكر بن أبى شيبة حدثنا اسماعيل بن ابراهيم هو ابن علية عن الجريري عن قيس بن عباية حدثنى ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه قال « ومارأيت رجلا أشد عليه فى الاسلام حدث منه فسمعنى وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال لى يابني إياك والحدث فانى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأها فاذا

قرأت فقل الحمد لله رب العالمين »

ورواه معمر عن الجريري قال أخبرني من سمع ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه فذكر معناه : ورواه خالد بن عبدالله الواسطي الطحان فاختلف عليه فيه : ورواه سعيد بن منصور ووهب بن بقية عنه عن الجريري عن قيس بن عباية قال اخبرني ابن عبدالله بن مغفل عن ابيه وساق الحديث مثل رواية ابن علية سواء ورواه اسماعيل بن مسعود عنه عن عثمان بن غياث عن ابي نعامة قيس ابن عباية لم يذكر الجريري فالحديث انما يدور على ابن عبدالله بن مغفل وقد تقدم الخبر عنه : حدثنا محمد بن ابرهيم بن سعيد حدثنا احمد بن شعيب وأنبأنا اسماعيل بن مسعود أنبأنا خالد حدثنا عثمان بن غياث قال حدثني أبو نعامة الحنفي قال حدثني ابن عبد الله بن مغفل «قال كان عبدالله بن مغفل اذا سمع أحداً يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر فما سمعت أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم » * قال أبو عمر لحديث عبد الله بن مغفل في اسناده ما وصفنا وقد ذهب اليه من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أصلا سراً ولا جهراً وذهب اليه من رأى انها تقرأ سراً وقالوا معناه انه لو صح انهم كانوا يسرون بسم الله الرحمن الرحيم ويجهرون بالحمد لله رب العالمين واستدلوا على ذلك من الآثار بما يأتي ذكرها بعد في باب مفرد لها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

منها ما رواه سفيان الثوري وغيره عن خالد الحذاء عن ابي نعامة الحنفي

قيس بن عباية عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » قال سفيان كانوا يسرون بها وهكذا رواية أبي قلابة والحسن وعائذ بن شريح عن أنس وكذلك رواه جماعة من أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس وسنذكر ما حضرنا من الاسانيد بذلك إن شاء الله تعالى : وحديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث انفرد به بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء واسمه أوس ابن عبد الله الربعي الازدي هذا من ربيعة الازد بصري عن عائشة ليس له اسناد غيره وبديل بن ميسرة وأبو الجوزاء ثقتان رواه عن بديل بن ميسرة سعيد بن أبي عروبة وحسين المعلم وهذان ثقة من رواه عنه بديل:

حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أبو قلابة الرقاشي قراءة عليه حدثنا عبد الاعلى ومحمد بن حيان العجلي قالا حدثنا حسين المعلم عن بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين » * وحدثنا أحمد بن قاسم ابن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا الحارث بن أبي أسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن أبي عروبة عن بديل ابن ميسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ويختمها بالتسليم » :

قال أبو عمر رجال اسناد هذا الحديث ثقات كلهم لا يختلف في ذلك الا أنهم يقولون أن أبا الجوزاء لا يعرف له سماع من عائشة وحديثه عنها ارسال : وأما الفقهاء فيقولون أن هذا الحديث لا حجة فيه لمن يرى

اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب وإنما فيه الحجة على أن من رأى أن فاتحة الكتاب وغيرها سواء وانه جائز قراءتها وقراءة غيرها دونها في الصلاة ويجيز أن يفتتح الصلاة بغيرها من القرآن فهذا الحديث حجة على من قال ذلك : وأما من قال إن الصلاة لا تجزىء الا بأم القرآن وانها التي يفتتح بها القراءة في الصلوات دون ما سواها من سور القرآن وان ما سواها من القرآن إنما يقرأ في الصلاة بعدها فلا حجة عليه بهذا الحديث ولا بما كان مثله قالوا وانما قول عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين » يعني دون غيرها من سور القرآن : والحمد لله رب العالمين اسم لسورة أم القرآن : وفاتحة الكتاب اسم ايضا لها وانما قالت عائشة يفتتح بالحمد لله رب العالمين ولم تقل دون أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لم يفد[1] السامع فائدة لان بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة مثبتة في المصحف وقد اختلفوا فيها هل هي آية من أول كل سورة أو آية مفردة في أوائل السور كاختلافهم هل هي آية من فاتحة الكتاب على ما تقدم ذكره والحمد لله: وانما قصدت عائشة رحمها الله الى الاعلام بالسورة التي يفتتح بها الصلوات وأخبرت بأي السور يفتتح قراءة الصلاة بكلام رفعت فيه الاشكال فقصدت الى ما في فاتحة الكتاب مما ليس في غيرها لان بسم الله الرحمن الرحيم في غيرها فكان قوله بالحمد لله رب العالمين كما لو قال قائل

(١) قوله لم يفد الخ هكذا الاصل والكلام غير منتظم ولعل التعليل محذوف تقديره لانه لم يفد الخ والله اعلم

كان يفتتح الصلاة (ببراءة من الله ورسوله) ولم يقل بسورة التوبة أو قال(بالم أحسب الناس) ولم يقل بالعنكبوت أو بق أو بيس أو ص أو بق والقلم ومثل هذا كثير: فكذلك قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين ولم تقل بأم القرآن ولا بفاتحة الكتاب لانها قصدت الى اعلام السامع بالسورة التى يفتتح بها قراءة الصلاة فسمتها بذلك وليس فيه ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم ولا ما يثبتها كما لو قالت كان يفتتح بص والقرآن ذي الذكر أو ق والقرآن المجيد أو الحاقة ما الحاقة أو ن والقلم: وما كان مثل ذلك وهذا كله لا يدفع احتماله فبطل أن يكون في حديث عائشة هذا حجة لمن نزع به سقوط بسم الله الرحمن الرحيم *

وحديث أبي هريرة

أما أبو هريرة فتروى عنه فى هذا الباب أحاديث متغايرة مختلفة ومتضادة تأتي في أبوابها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فاما ما احتج به منها من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب فمن ذلك ما رواه بشر بن رافع أبو الاسباط الحارثي يمامى قال حدثنى ابن عم أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة يقول « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » وبشر بن رافع عندهم منكر الحديث قد اتفقوا على انكار حديثه وطرح ما رواه وترك الاحتجاج به ولا يختلف علماء أهل الحديث في ذلك والذين

يروون عن بشر بن رافع حاتم بن اسماعيل وعبد الرزاق وصفوان بن عيسى ولو صح حديثه احتمل من التأويل ما ذكرنا في حديث عائشة قبل هذا رواه عبد الواحد بن زيد عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نهض في الثانية استفتح بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت » وهذه رواية يغني ظاهرها عن الكلام فيها : وفيها دليل على أنه كان يسكت بعد التكبيرة في الاول على ما رواه سمرة

ومنها حديث العلاء بن عبد الرحمن : وهو أصح حديث روى في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب وأبينه وأبعده من احتمال التأويل رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي السائب مولى هشام ابن زهرة أنه سمعه يقول سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام » قال قلت يا أبا هريرة اني أحيانا أكون وراء الامام قال فغمز ذراعي ثم قال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله عز وجل حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعال أثنى على عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله تعالى مجدني عبدي يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين فيقول الله تعالى فهذه الآية بيني وبين عبدي

ولعبدي ماسأل ويقول العبد إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي ولعبدى ما سأل» أدخل مالك هذا الحديث في باب القراءة خلف الامام فيما لا يجهر فيه الامام بالقراءة لقول أبي هريرة فيه اقرأ بها في نفسك أى اقرأ بها سراً ولم يدخله في باب العمل فى القراءة مع حديث حميد عن أنس « قال قمت وراء أبى بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم» وسيأتى هذا الحديث واختلاف الرواة في الفاظه ورفعه وتوقيفه في موضعه من هذا الكتاب بعد هذا إن شاء الله تعالى

وأما حديث العلاء بن عبدالرحمن هذا فرواه كما رواه مالك عبدالملك ابن عبدالعزيز بن جريج ومحمد بن عجلان ومحمد بن اسحق والوليد بن كثير كلهم رووا عن العلاء بن عبد الرحمن ان أبا السائب مولى هشام ابن زهرة حدثه انه سمع ابا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا ان الليث بن سعد رواه عن ابن عجلان عن العلاء عن ابى السائب عن ابى هريرة بهذا الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم « ايما رجل صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت انى لاستطيع ان اقرأ مع الامام قال اقرأ بها في نفسك فان الله عزوجل يقول قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قال العبد الحمد لله رب العالمين قلت حمدنى عبدى » ثم ذكر الحديث على هذا بمعنى ما تقدم فجعل قوله « قال الله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى » من قول أبى هريرة الى آخر الحديث لم يرفع منه الا قوله « خداج غير تمام » ومالك احفظ

واثبت وزيادة مثله مقبولة وحجة على من قصر عنها : ورواية ابن جريج عن العلاء في هذا الحديث كرواية مالك سواء

وروى هذا الحديث شعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة عن العلاء بن عبدالرحمن عن ابيه عن ابى هريرة فقالوا عن أبيه في موضع ابى السائب ولم يذكروا ابا السائب فمن اهل العلم بالحديث من جعل هذا اضطراباً يوجب التوقف عن العمل بحديث العلاء هذا ومنهم من قال ليس هذا باضطراب لان العلاء قد روى هذا الحديث عن ابيه وعن ابى السائب جميعاً عن ابي هريرة كذلك رواه ابو اويس عن العلاء عن ابيه وابى السائب جميعاً عن ابى هريرة وساقه نحو سياقة مالك له: والقول عندي في ذلك ان مثل هذا الاختلاف لايضر لان أبا السائب ثقة وعبدالرحمن اباالعلاء ثقة ايضاً فمن ايهما كان فهو من اخبار العدول التى يجب الحكم بها وابو اويس عندهم لايحتجون به فيما انفرد به :

وحديثه حدثنا عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر قالا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا اسماعيل بن اسحق واحمد بن زهير قالا حدثنا اسماعيل بن ابي اويس قال حدثنى ابى عن العلاء بن عبدالرحمن قال سمعت من ابي ومن ابى السائب جميعاً وكانا جليسين لابى هريرة قالا قال ابوهريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج هى خداج غير تمام » وذكر الحديث بتمامه كما رواه مالك قال اسماعيل بن اسحق قال على بن المدينى وكان هذا الحديث عن عباد بن صهيب عن الرجلين جميعاً يعنى كما رواه ابواويس :

قال ابو عمر لا أعلم حديثاً في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب ابين من حديث العلاء هذا لان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية ثم قال « يقول العبد الرحمن الرحيم » فعدها آية ثم قال « يقول العبد مالك يوم الدين » فعدها آية ثم قال « يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين » فعدها آية فتمت اربع آيات ثم قرأ الى آخر السورة وقال « هؤلاء لعبدي » ولم يقل هاتان لعبدي وهؤلاء اشارة الى جماعة فعلم انها ثلاث آيات وتقدمت اربع آيات تتمة سبع آيات : وأجمع علماء المسلمين انها سبع آيات فدل هذا الحديث على ان « انعمت عليهم » آية وان « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من اول السورة وهذا عند اهل المدينة والشام والبصرة :

وأما أهل مكة وأهل الكوفة من العلماء والقراء فيعدون « بسم الله الرحمن الرحيم » أول آية من أم القرآن وليست « أنعمت عليهم » بآية عندهم فهذا حديث قد رفع الاشكال في سقوط « بسم الله الرحمن الرحيم » ورجاله ثقات * اما ابو السائب فقد روى عنه العلاء بن عبد الرحمن وشريك بن أبي نمر وبكير الأشج وصيفي مولى ابن أفلح ومحمد بن عمرو بن عطاء وعبيد الله بن عمرو قيل انه روى عنه الزهري وصفوان ابن سليم والاسناد عن كل واحد من هذين عنه ليس بالقوى : وأصح ما قيل في أبي السائب هذا أنه مولى هشام بن زهرة كما قال مالك وما تابعه على ذلك وهو مولى الانصار وقيل مولى بني زهرة وقيل مولى

بنى عبد الله بن هشام بن زهرة وقيل عبد الله بن هشام بن زهرة مولى هشام بن زهرة هكذا قال الحفاظ من أصحاب العلاء وكان ابو السائب هذا من جلساء ابى هريرة وروى عن ابي هريرة وعن المغيرة بن شعبة وسعد بن أبى وقاص * وأما عبد الرحمن بن يعقوب مولى جهينة والد العلاء فروى عنه ابنه العلاء وروى عنه محمد بن ابراهيم التيمى والله أعلم ولا أعلم احداً ذكره بجرحة * وأما العلاء فروى عنه جماعة من أئمة أهل الحديث واحتملوه ووثقه احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقال هو عندى فوق سهيل بن ابى صالح ومحمد بن عمرو * وأما ابن معين فقال العلاء بن عبد الرحمن ليس حديثه بحجة وهو وسهيل قريب من السواء هذه حكاية عباس عن ابن معين : وقال ابن ابى خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول العلاء بن عبد الرحمن ليس بذاك لم يزل الناس يتقون حديثه : وقال أبو حاتم الرازي روى عن العلاء الثقات وأنا أنكر من حديثه أشياء قال ابو عمر العلاء ليس بالمتين عندهم وقد انفرد بهذا الحديث ليس يوجد الا له ولا تروى الفاظه عن احد سواه والله اعلم :

وقد روى منصور بن ابى مزاحم وهو من أهل الصدق عندهم قال حدثنا ابو اويس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابى هريرة » ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » قال ابو عمر يعضد هذه الرواية رواية مالك وغيره من حديث العلاء هذا قول ابى هريرة : اقرأ بها في نفسك يافارسى : ومعنى قوله في حديث العلاء « قسمت الصلاة بينى وبين عبدي نصفين فنصفها لعبدى ولعبدى ماسأل »

اي قسمت قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة بيني وبين عبدى نصفين هذا معناه عند من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من اول السورة : ودليلهم على ذلك قوله بأثر ذلك « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » الحديث قالوا وجائز ان يعبر عن القراءة بالصلاة كما يعبر عن الصلاة بالقراءة : قال الله عز وجل (وقرآن الفجر) اى صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهوداً) اي صلاة الفجر

واما من رأى اثبات بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب فقالوا لا يجوز ان يحال اسم الصلاة الى القراءة الا بما لا اشكال فيه من المجاز وبالدليل الذى لا يحتمل التأويل قالوا ومعنى قوله عليه السلام عن الله تبارك اسمه « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين » ان الصلاة دعاء وعبادة فمن العبد الدعاء ومن الله الاجابة : ومن العبد الطاعة بالركوع والسجود والقيام والقعود ومن الله تعالى الجزاء بالمغفرة والهدى قالوا فهذا معنى السورة لانها تقتضى الدعاء بالهدى بعد التحميد والثناء ومن الله الاجابة والجزاء فهذا معنى قسم الصلاة بين العبد وبين ربه على ظاهر الكلام دون إحالة لفظه والله أعلم

وعلى هذا التأويل يكون المعنى في ابتدائه القراءة بالحمد لله رب العالمين فى هذا الحديث بمعنى ما تقدم ذكره في حديث عائشة وغيره من الابتداء بالحمد لله رب العالمين * حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد أنبأنا احمد بن شعيب أنبأنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن

١ ـ الاسراء ٧٨

موسى ح وحدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو اسامة كلاهما عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل» هكذا قالا جميعاً والمعنى من قوله أنها مقسومة بين العبد وبين ربه وللعبد ما سأل

ومثل هذا حديث مالك أيضاً عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز أخبره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد فقال اني لارجو ان لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها قال أبيّ فجعلت أبطىء في المشي رجاء ذلك قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني فقال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين حتى اتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيت » فقوله في هذا الحديث «فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين» يحتمل ان يكون كقوله لو قال فقرأت عليه يس والقرآن الحكيم يريد السورة أو قرأت عليه ق والقرآن المجيد إذ ليس في ذلك ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أولها ولا

يثبتها والله أعلم : وقد مضى في ذلك ما يكفي فيما تقدم والآثار التى تعضد هذا التأويل في ثبوت بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب تأتى بعد في بابها إن شاء الله تعالى

﴿ حديث أنس بن مالك ﴾

وأما حديث أنس في هذا الباب فرواه مالك في موطنه عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قمت وراء أبى بكر وعمر وعثمان فكلهم لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم اذا افتتحوا الصلاة هكذا رواه مالك عن حميد الطويل عن أنس موقوفا لم يسنده لم يذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم لم يختلف في ذلك رواة الموطأ قديماً وحديثاً ابن وهب وغيره الا ما رواه ابن أخيه احمد بن عبد الرحمن بن وهب المعروف ببحشل فانه رواه عن عمه عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتابعه على ذلك أحد من رواة ابن وهب وابن أخي ابن وهب عندهم ليس بالقوى قد تكلموا فيه ولم يروه حجة فيما انفرد به ورواه الوليد بن مسلم عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وهو عندهم خطأ والصحيح ما في الموطأ وقد ذكرنا الأسانيد بما ذكرنا من اختلاف على ابن وهب وغيره عن مالك في التمهيد وتابعه على ذلك هشيم وحماد بن سلمة : فحديث هشيم ذكره أبو بكر بن أبى شيبة عن هشيم وذكره أيضاً سعيد بن منصور عن هشيم هكذا موقوفاً على أبى بكر وعمر وعثمان لم يذكروا النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه

حماد بن سلمة في كتابه عن ثابت وقتادة وحميد عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » قال حماد إلا أن حميداً لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن أبي عدى هذا الحديث عن حميد الطويل عن قتادة عن أنس ولست أعلم أحداً ذكره عن حميد عن قتادة عن أنس إلا ابن أبي عدى فيما علمت ويقولون ان اكثر رواية حميد عن أنس إنما سمعها من قتادة وثابت عن أنس ومنها ما سمع من أنس : وأما قتادة فلا أعلم أحداً رواه عنه موقوفا بل جماعة أصحابه ذكروا فيه عنه عن أنس « أن النبي صلي الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر » اختلفوا عنه في ذكر عثمان فيه وكلهم رفعه فذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنهم اختلفوا في لفظه فمنهم من قال فيه كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ومنهم من قال فيه « كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم » ومنهم من قال فيه « كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » ومنهم من قال « فلم اسمع أحداً منهم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم »

فمن أجل من رواه عن قتادة ايوب بن ابى تميمة السختيانى * حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد حدثنا محمد بن معاوية بن عبد الرحمن رحمه الله وحدثنا عبد الله بن محمد بن أسد حدثنا حمزة بن محمد قالا حدثنا احمد بن شعيب بن على انبأنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن حدثنا سفيان عن ايوب عن قتادة عن أنس « قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر ومع عمر فافتتحوا بالحمد »